OPEN ACCESS
MA'ARIF-E-ISLAMI(AIOU)
ISSN (Print): 1992-8556
http://www.aiou.edu.pk/sab/mi/index.asp
www.iri.aiou.edu.pk

ظاهرة العدول بين البلاغيين القدامى والمحدثين

(دراسة مقارنة)

(Phenomenon of deviation between ancient and modern rehthorians)

*** غلام مجتبى**

باحث في مرحلة الدكتوراه، في الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد

ABSTRACT

The idea of deviation has attracted the minds of the scholars, rehtorians and critics since the third century AH. Many ancient scholars like "Abu Ubaidah (ابو عبيدة) Al-emaam Alzamakhshari" (الامام الزمخشری) and "Abdul Qahir" (عبد القاہر الجرجانی) in his great book (Dalail ul iejaz) etc... and modern scholars like Abdul Salam Almasadi" in his book (Method and stylistic) and "Mohammed Abdul Mutalib" in (Rhetoric and stylistic) and "salah Fadl" in (ilmul Auslub) have taken part in the study of methodology.

Modern Westerners have also contributed significant shares in the subject, Paul Valery says about stylistic: "What is the only deviation from the rule or the original topic of speech is a violation." As Cohen said: "we will not involve quality properties for a method to express Vrdath This does not preclude that there would be elements inherited traditional beside those unique items, because it is impossible that the text on what is unique only and does not value him if the traditional elements.

Fortunately we find a link in old and modern style in the field although we found the word (العدول) and modern usage of it word (الانحراف) for the same cause. I will try to hold both old and modern scholarly ideas and deliver some sufficient references for their relations.

In the end of me research I endeavor to compare both the opinions of old and modern scholars. And I mentioned the aspects which are agreed upon and aspects which are controversial between them.

المدخل

إن العدول موضوع لطيف وقديم تمتد جذوره إلى التراث العربي، وأحاول أن أمثل الشواهد من التراث العربي من القرن الثاني الهجري من أبي عبيدة إلى أن تم استقلاله على نحو حاسم على يد أبي يعقوب السكاكي صاحب كتاب (المفتاح) في القرن السابع الهجري. ثم أتوجه إلى العصر الحديث وأتناول ما يلفظ عليه

المصطلح (الانحراف) وأثبتها بالأدلة مع ذكر آراء المحدثين من العرب والغرب. وفي نهاية البحث أحاول أن أقوم بمقارنة بين آراء القدامى والمحدثين، وأذكر أوجه الاتفاق وأوجه الخلاف بينهما أيضا.

أهمية الموضوع

راودت فكرة العدول أو الأسلوب ووجوه الأداء الكلامي أذهان البلاغيين والنقاد منذ القرن الثالث الهجري، وكان أبو عبيدة معمر بن المثنى (المتوفى: 208ه) أول من أسهم في هذا المجال، رغم نجد أمثلة موجودة في الشعر يسبقه زمنا. نحو الباقلاني (المتوفى: 403ه) قد رأى في نص شعري لامرئ القيس على اعتباره من القدامى الموجودين في الشعر، وكان يسمى بعض شعره سلاسل الذهب، مشيرا وهو يعرض هذا النموذج إلى أهم ملامحه البنائية في الابتداء والتخلص والانتهاء وتوالي الأجزاء وتماسك الأقسام، منبها إلى ما يمتاز به سمات على نطاق اللغة والأسلوب والمعاني والموضوعات.

كثير من العلماء القدماء والمحدثين تناولوا موضوع الأسلوب (العدول)، ومن السلف، نحو الإمام الزمخشري (المتوفى:538ه)، وعبد القاهر الجرجاني (المتوفى: 471ه) في دلائل الإعجاز وغيرهما، ومن المحدثين مثل عبد السلام المسدي (ولد في يناير 1945م) "الأسلوب والأسلوبية"، ومحمد عبد المطلب (المتوفى: 1980م) في البلاغة والأسلوبية"، وصلاح فضل (ولد في 31 مارس 1938م) في" علم الأسلوب". وفي الحقيقة أن المحدثين عرضوا مسائل في غاية الأهمية خصوصا في الجانب النظرى، أما المجال التطبيقي فكان مداه محدودا عندهم، والقدماء أكثر إسهاما في مجال التطبيق.

ومن المحدثين الغربيين كذلك إسهموا إسهاما كبيرا في هذا الموضوع، حيث يرى بول فاليري (المتوفى:1945م) عن الأسلوب، ما هو إلا إنحراف عن القاعدة أو الأصل الموضوع عليه الكلام أو هو الانتهاك. كما يرى جان كوهين: (المتوفى: 1994م) إن الأسلوب فلن ينطوي على خصائص نوعية ليعبر عن فرداته وهذا لا يمنع أن تكون هنالك عناصر موروثة تقليدية بجانب تلك العناصر الفريدة، لأنه من المحال أن يقوم النص على ما هو فريد فحسب، وكذلك لا قيمة له إذا قام على عناصر تقليدية بصورة كلية. كل هذه الأقوال خير دليل على أهيمة الموضوع عند القدماء والمحدثين من الشرق والغرب

تعريف العدول

كلمة العدول متداولة بين النثر والشعر للمعاني مختلفة، وذكر اللغويون لها معانٍ كثيرة، وأتناول منها ما تتعلق بموضوعي.

العدول لغة

قال ابن دريد (ت: 321ه): "وعدلتُ الشيء بالشيء عدلاً، إذا جعلته بوزنه، وعدلتُ عن الشيء، إذا ملتُ عنه"[1].وقال ابن منظور(ت: 711ه): "قولهم، عَدَلَ عنه، يعدِلُ عُدولاً إذا مال كأنه يميل من الواحد إلى الآخر"[2].

وقال الزَبيدي (ت: 1205ه) في تعريفه: "والعَدْلُ: أن تعدِلَ الشيءَ عن وجهه، تقول: عدلتُ فلانا عن طريقه، وعدلتُ الدابّةَ إلى موضع كذا، وفي الحديث: لا تُعْدَلُ سارِحتُكم، أي: لا تُصرَفُ ما شيتُكم، وتمال عن المرعى"[3]. ويناسب لو قسمنا معنى العدول إلى دلالتين رئيسيتين، الأولى: تدل عليها المعاجم أن الكلمة العدول استنتجت من المادة اللغوية: (ع د ل) وما يمكن أن يشتق منها محصور بين الدلالة الأولى المتمثلة في الإنصاف، وإحقاق الحقوق، أن العدل: كالعدالة والعدول والمعدِلة والمعدَلة. عدل يعدل فهو عادل من عدول وعدل بلفظ الواحد.والدلالة الثانية: عدلَ عن الشيءِ يعدلُ عَدلاً وعَدُولاً حاد عن الطريق حار وعدل إليه عدولا رجع، وماله معدل ولا معدولا، أي: وعدل الطريق مال.

العدول اصطلاحا

عبد الله ابن وهب الذي اشتهر بالكاتب (المتوفى:197ه) سمى العدول بالصرف، فقال: "وأما الصرف فإنهم يصرفون القول من المخاطب إلى الغائب ومن الواحد إلى الجماعة"[4].

ويقول ابن جني (المتوفى: 322ه) في كتابه (الخصائص) لفظة العدول في حديثه عن المجاز إذ يقول: "إنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي الاتساع التوكيد والتشبيه فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة"[5].

ويقول السكاكي (المتوفى: 626ه): "إن إخراج الكلام لا مقتضى الظاهر أساليب متفننة، إذ ما من مقتضى كلام ظاهري إلا ولهذا النوع مدخل فيه بجهة من جهات البلاغة، ولكل من تلك الأساليب عرق في البلاغة يتسرب من أفانين سحرها ولا كالأسلوب الحكيم فيها"[6].

ويقول ابن الأثير (المتوفى: 630ه): "واعلم أيها المتوشح لمعرفة علم البيانِ أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطلع على أسرارهما وفتش عن دفائنهما ولا تجد ذلك في كل كلام فإنه من أشكل ضروب علم البيانِ وأدقها فهماًوأغمضها طريقاً"[7].

أولا: أسس العدول عند القدماء

في التراث البلاغي إشارات متعددة إلى ظاهرة العدول بين عدد المخاطبين، وكان يشار إليها في بداية تلمس الظاهرة بمصطلحات أخرى.

إن **أبو عبيدة معمر بن مثنى** (ت: 209ه) أول من أشار إلى هذه الظاهرة تحت مصطلح المجاز. وأذكر بعض الأمثلة ما أوردها الإمام في تفسيره، حيث يقول: من مجاز لفظه لفظ الواحد الذي له جماع منه ووقع معنى الواحد على الجميع كقوله تعالى: (يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا)[8] في موضع أطفال... وقوله تعالى:(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ)[9]، في موضع إخوتكم.. ومن مجاز ما جاء من لفظ خبر الجميع على لفظ الواحد قوله تعالى: (وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ[10]) في موضع ظهراء[11].. ويلاحظ أن بعد ذلك عدل الكلام إلى الجمع حيث قال: (ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا) فالكلمة شيوخ تقتضى أن تكون في البداية كذلك الجمع (أطفالا) بدلا عن كلمة (طفل).

وتناول **ابن قتيبة** (ت:276) بعض الإشارات لهذه الظاهرة تحت مصطلح المجاز وفي ذلك يقول: وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها: طرق القول ومآخذه. ففيها الاستعارة والتمثيل والقلب، والتقديم والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء والإظهار، والتعريض والإفصاح والكناية والإيضاح ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، وبكل هذه المذاهب نزل القرآن[12].

عبد الله بن المعتز _(ت: 296) كان السباق وأول من فنن منهج البلاغة ووسائل تحسين الأسلوب الأدبي، وعبد الطريق لكثير من علمائها الذين راجت بهم الصنعة فاستخرجوا أنواعا لا تحصى علما أنه بدأها بثمانية عشر نوعا، جعل خمسة الأول باسم البديع، والباقي صنفه باسم المحسنات، ومنه أنواعه: الاستعارة والتجنيس والمطابقة والمذاهب الكلامي والالتفات، والاعتراض وحسن الخروج والرجوع، وحسن التضمين، والتعريض والكناية والافراط في الصفة، وحسن الابتداء والتشبيه. فهذه الأنواع سبقه إليها من تقدمه، أما الأنواع المبتكرة فهي: رد الإعجاز على الصدور، تأكيد المدح بما يشبه الذم، الهزل الذي يراد به الجد، تجاهل العارف، لزوم ما لا يلزم.[13]

قدامة بن جعفر المتوفى: (337) كان من مشاهير البلغاء الفصحاء الذين يضرب بهم المثل في البلاغة، ومن الفلاسفة الذين يشار إليهم بالبنان في علم المنطق والفلسفة. وقد استكمل بعد ابن المعتز تأسيس مباحث علم (البديع)، وحمل لوائه، وتوضيح معالمه، وتحديد نهجه.

عرّف قدامة بن جعفر ـ رحمه الله ـ الالتفات بقوله: "هو أن يكون المتكلم آخذا في معنى فيعترضه إما شكا فيه، أو ظنّا أنّ رادا يرده عليه، أو سائلا يسأله عن سببه فيلتفت إليه بعد فراغه منه"[14].

ابن طباطبا العلوي: المتوفى: (322ه)

ابن طباطبا من الأوائل الذين التمسوا للأسلوب مفهوما رغم عدم تسميته لفظا بالأسلوب، حيث نجده يشير إلى ذلك عند حديثه عن طريقة الشاعر إذا رغب النظم، فهو يقول: "المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه فكره نثرا، وأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه والقوافي التي توافقه، والوزن الذي يسلس له القول عليه. فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي يرومه أثبته، وأعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني على غير تنسيق للشعر وترتيب لفنون القول فيه بل يتعلق كل بيت يقف نظمه، على تفاوت ما بينه وبين ما قبله. فإذا كملت له المعني، وكثرت الأبيات وفق بينها بأبيات تكون نظما لها سلكا جامعا لما تشتت منها"[15]. ومن ثم نجد أن الأسلوب هو أساس صناعة الشعر، يجمع بين الرؤية التي يمتلكها الشاعر والاحتراف اللغوي والإيقاعي والجمالي، يتأمل المبدع من خلاله، حيث يقول: "ما أداه إليه طبعه ونتجه إليه فكره، يستقصي انتقاده، ويروم ما وهي منه"[16].إن مفهوم الأسلوب الجيد القائم على أصول فنية كالمطابقة بين اللفظ والمعنى ابتداءً والتوفيق بين القوافي والأبيات انتهاء قائم من اهتمام ابن طباطبا بخصائص نظم الشعر، لأن شأن الشاعر في اعتقاد ابن طباطبا كشأن الناسج الحاذق، كما يقول: " النساج الحاذق الذي يوفق وشيه بأحسن التوفيق ويسديه وينيره"[17].

إن المتأمل في نظرة ابن طباطبا إلى الأسلوب يجد أنها لا تقوم على أصل واحد متفرد كاللفظ والمعنى، بل يرى أن الأسلوب ليس المعنى وحده واللفظ وحده، وإنما هو مركب فني من عناصر مختلفة يستمدها الفنان من ذهنه ومن نفسه ومن ذوقه. وتلك العناصر هي الأفكار، والصور والعواطف، ثم الألفاظ المركبة والمحسنات المختلفة، ومن ثم فالأسلوب في النص هو الأساس في نسج بنيته عبر جميع مستوياتها.

عبد القاهر الجرجاني المتوفى: (471ه)

إن عبد القاهر الجرجانى رحمه الله كان عبقريا فذا، وله حظ عظيم في البلاغة العربية في جميع مجالاتها.

وجاءت إشارة عرضية إلى العدول في كلام عبد القاهر الجرجاني رحمه الله، في باب الحكاية ـ حينما ذكر ما حصل في حضرة الحجاج حيث قال الحجاج: لأحملنك على الأدهم"[18] يريد القيد، فقال على سبيل (المغالطة) ومثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب" يريد الأسود والأبيض. فالجاحظ سماه هذا الأسلوب بـــ (المغالطة)

فقد ذكر الإمام الرازي نقطة لطيفة عن عبد القاهر الجرجانى لها علاقة وثيقة بالدراسات الجديدة، في أعمال عبد القاهر الجرجانى تعد في مفهوم علم اللغة الحديث من أبرز ما توصل إليها اللغويون اليوم، وهي ما يثار بشأن اعتباطية العلاقة بين اللفظ والمعنى. فخر الدين الرازى بصدد بيان حالات الألفاظ في دلالاتها الوضعية ودلالاتها المعنوية، وقد رتبها على قسمين، وبين أن ما يتعلق بالدلالة اللفظية منحصر في أمرين، ثم تسلسل إلى أنه ليس الغرض الأصلى من وضع الألفاظ المفردة إفادتها لمسمياتها، لأن أفادتها موقوفة على العلم

بكونها موضوعة لها. وهذا العلم متوقف على العلم بتلك المسميات. ولو استفدنا العلم بتلك المسميات من تلك الأسامى، للزم الدور. ـ ثم أشار إلى قول الله تعالى استدلالا إلى هذه النقطة: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ[19]) يقتضى أن يكون المخاطبون بهذا الخطاب، عالمين بتلك الأشياء، حتى يصح مطالبهم بذكر أسمائها.

ومعنى ذلك: إن المسميات لا تشير إلى أسمائها، وإلا لأمكن الملائكة أن يذكروا الأسماء بمجرد رؤية المسميات، أي أن العلاقة بين الاسم والمسمى، علاقة غير طبيعية، وإنما هي علاقة تعليمية

الإمام الزمخشري المتوفى: (538ه) له يد طولى في مجال الالتفات وتظهر مظاهرها في شرحه الكشاف، وهو يؤكد أن التحول الأسلوبي في البلاغة العربية يسعى إلى تحقيق فائدتين: "إحداهما عامة في كل تحول أسلوبي، وهي إمتاع المتلقي وجذبُ انتباهه، والأخرى خاصة تتمثل فيما يُوحيه كل تحول من إيحاءات ودلالات خاصة عبر عنها بقوله: "إن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وتختص موقعه بفوائد"[20].

ونقل ابن الأثير قول الإمام الزمخشري رحمه الله: "إن الرجوع من الغيبة إلى الخطاب إنما يستعمل للتفنن في الكلام والانتقال من أسلوب إلى أسلوب، تطرية للنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه"[21].

رغم أن ابن الأثير لا يقبل رأي الزمخشري ويتعجب بمفهوم الالتفات أو العدول وغرضه عنده، ويقول: "وما أعلم كيف ذهب على مثل الزمخشري مع معرفته بفن الفصاحة والبلاغة"[22].

لا أستطيع أن أنقل خلافهما في هذا الموضع، لذلك أشرت إليها باختصار، وغرضي هنا إشارة إلى شواهد العدول عبر التاريخ في آراء البلاغيين والمفسرين.

السكاكي المتوفى: (626ه)

وأول من جاءت لديه هذه التسمية بوضوح هو السكاكي رحمه الله، حيث قال: "ولهذا النوع أعني إخراج الكلام لا مقتضى الظاهر أساليب متفننة، إذ ما من مقتضى كلام ظاهري إلا ولهذا النوع مدخل فيه بجهة من جهات البلاغة، ولكل من تلك الأساليب عرق في البلاغة يتسرب من أفانين سحرها ولا كالأسلوب الحكيم فيها"[23].

ورأي السكاكي عن العدول في الفعل، ـ أعني العدول من الماضي إلى المضارع – يصير أصلاً بلاغيًّا ثابتًا، إذا اقتضى السياق اللجوءَ إليه، فقال: "وإنه ـ الانتقال من التعبير بالماضي إلى المضارع – طريقٌ للبلغاء لا يعدلون عنه، إذا اقتضى المقام سلوكَه"[24].

وقال ابن عاشور التونسي(المتوفى: 1393ه):"علم الأدب العربي والبلاغة التفاتاً. وفي ضابط أسلوب الالتفات رأيان لأئمة علم البلاغة: أحدهما رأي مَن عدا السكاكي من أئمة البلاغة وهو أن المتكلم بعد أن يعبِّر

عن ذات بأحد طرق ثلاثة من تكلم أو غيبة أو خطاب ينتقل في كلامه ذلك فيعبر عن تلك الذات بطريق آخر من تلك الثلاثة، وخالفهم السكاكي فجعل مسمى الالتفات أن يعبِّر عن ذات بطريق من طرق التكلم أو الخطاب أو الغيبة عادلاً عن أحدهما الذي هو الحقيقي بالتعبير في ذلك الكلام إلى طريق آخر منها .

إن السكاكي له آراء مختلفة في العدول، وعرف العلماء فروقا بين السكاكي وغيره. اعتبر المفسرون أراء السكاكي كمدرسة على حدة وذكروا آراءه مع ذكر اسمه في التفاسير، كما قال الإمام أطفيش في شرح الآية المذكورة:

(رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ)[25].

"وقيل: من كلام الله – عز وجل – معترض ولا سيما أن بين الكلامين مدة، وعلى الأَول والأصل وما يخفى عليك، ووضع الظاهر موضع المضمر قصد إلى ذكره تعالى باسمه الأعظم الذى يستجاب به التفاتا من الخطاب إلى الغيبة، وعلى الثانى الأصل وما يخفى على من شىءٍ فى الأرض ولا فى السماءِ، على الالتفات – السكاكى – من التكلم إلى الغيبة، اعترض به تصديقا لكلامه قبل تمامه، وقدم الأَرض للفاصلة، ولأَن الداعى والمدعو له فى الأرض، وليكون علمه بما فى الأرض كالبرهان لعلمه بما فى السماءِ، والأَمكنة عنده سواءَ، فإذا علم ما فى الأَرض فعلمه بما فى السماءِ أَولى بحسب الرأْى، لأَنها فى جهة محل اللوح والوحى، وهو متنزه عن الحلول"[26] .قد تناول البلاغيون والمفسرون قضية العدول تحت عناوين مختلفة، وشاركوا فيه حسب معرفتهم في هذا المجال، واكتفيت على ذكر بعضهم منهم الذين نالوا شهرة في هذا المجال.

هذه النظرة الموسعة لظاهرة الالتفات تبلورت واستقرت على سوقها على يد بلاغي رصين هو **ابن الأثير**[27] **المتوفى**: (630ه) الذيي استوعب صور الالتفات في الضمائر والأفعال في كتابه "المثل السائر" حيث أفرد لها بابا مستقلا تحت عنوان: "في الالتفات"، وقسمه ثلاثة أقسام جعل القسم الأول منها خاصا بالالتفات من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم، وخصص القسم الثاني لتناول ظاهرة الالتفات عن الفعل المستقل إلى فعل الأمر وعن الفعل الماضي إلى فعل الأمر. ثم ختم هذا الباب بالقسم الثالث الذي تناول فيه ظاهرة الالتفات عن الفعل الماضي إلى المستقل، وعن المستقل إلى الماضي، وختم هذا القسم بالإشارة إلى الالتفات عن المضارع إلى اسم المعفول استشهد له بقوله تعالى: (ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ)[28].ورأى أنّ (مجموع) معدول عن (يجمع) [29].

ومن الأمثلة في التراث: أمثل بالمثالين الآتيين: (محمد صائم النهار وقائم الليل) و(محمد صائم النهار ويقوم الليل).

ففي المثال الأول نلاحظ أن صيغة اسم الفاعل (قائم) عطفت على صيغة اسم الفاعل (صائم). هذا التماثل الصيغي يحمل قيمتين: قيمة عقلية منطقية ناشئة من ضم المتماثلات بواسطة الدال (حرف العطف الواو)، وقيمة إيقاعية متولدة عن التماثل المقطعي الصوتي بين المتعاطفين.

والمثال الثاني الذي عطف فيه المضارع على اسم الفاعل ـ رغم كونه سليما من الناحية التركيبية والإعرابية ـ يفتقر إلى القيم المنطقية والجمالية التي يكتنزها المثال الأول. لكن هذه القيم يمكن التسامح فيها والتضحية بها إذا كانت المغايرة بين صيغتي المتعاطفين تؤشر إلى قيمة دلالية معينة لا يمكن أن تؤديها مماثلة المعطوف للمعطوف عليه صيغيا، كأن يكون العدول عن صيغة اسم الفاعل (صائم) إلى صيغة المضارع (يقوم) دالا على أنّ اتصاف محمد بقيام الليل ليس على سبيل الاستمرار والثبوت كصيام النهار (دلالة اسم الفاعل) وإنما على سبيل التجدد والتكرار.

ونلاحظ نفس الظاهرة العدولية من المصدر إلى الفعل في قوله تعالى: (وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ[30]). قوله: (لتطمئن) فعل ، وقوله (إلا بشرى) اسم، وعطف الفعل على اسم مستنكر، فكان الواجب أن يقال: إلا بشرى لكم واطمئنانا، أو يقال: إلا ليبشركم ولتطمئن قلوبكم به، فلم ترك ذلك وعدل عنه إلى العطف الفعل على الاسم.

لاحظت نقطة لطيفة في العدول في الآية المباركة: إنّ فائدة العدول من الاسم: (بشرى) إلى الفعل: تطمئن. حيث اسم بشرى يدل على المعنى في الدوام، لأنّ البشارة تحمل السرور في طياته، ولو كان لها العلاقة بالماضي، فإنسان يتلذذ بذكر الماضي، وبالحال، حيث يملأ سرورا وحنانا بها، وفي المستبقل، حيث يفكر عنه ويتلذذ بوجوده باعتبار ما سيكون. أما اطمئنان له العلاقة بالقلب، وقلب الإنسان لا يبقى على حالة واحدة، بل يتغير كيفيته بغير الأحوال وكان مناسبا له أن يذكر بالفعل.

ثانيا: العدول عند المحدثين

تعددت اتجاهات الأسلوبية منذ ظهورها في بداية القرن العشرين، وقسم علم الأسلوب إلى نوعين: أولهما: علم الأسلوب العام، الذي يعنى بالنظير لدراسة الأسلوب. وثانيهما: علم الأسلوب التطبيقي. والثاني يتفرع إلى نوعين: الأول، الذي يتناول بدراسة الأنماط التعبيرية في حقل لغوي بعينه مثل لغة المشتغلين بمهنة معينة أو لغة الصحافة.

والآخر: يدرس خصائص الأسلوب عند كاتب بعينه في كل إنتاجه الأدبي أو بعضه أو مؤلفاته[31].

الإتجاه الأول يعرف الأسلوب: (بوصفه ترابطا منطقيا وشكلا وبنية، وإجمالا بوصفه تجمعا متناسقا متفردا لأنواع عامة متعددة داخل عمل خاص[32]) يمثل هذا الاتجاه كلينث بروكس (cleanth Brook) في أمريكا، وفيكتور فينوجرداوف (Victor Vinogradov) في روسيا[33].

والاتجاه الثاني فهو ينظر إلى الأسلوب على أنه انحراف عن النمط، وانتهاك له ومخالفة، ويعتبر[34] (leo Spitzer) في ألمانيا وبيير جيرو[35] في فرنسا من روائد هذا الاتجاه[36].

كلا الاتجاهين لهما أهمية خاصة في مجالها، وأما ما أقصده في البحث هو الاتجاه الثاني.

ويقول د. موسى سامح ربابعة ـــ وهو الأستاذ بجامعة الكويت ـــ عن ما هية الأسلوب: "منذ أن بدأت الدراسات الأسلوبية ظهرت هناك تساؤلات متعددة تقوم في كون الأسلوب لا يتضمن تعريفا محددا جامعا شاملا، بل جاءت تعريفات الأسلوب بشكل متعدد، وذلك حسب منطلقات الناقد أو الدارس، وظهرت لذلك عدة أسلوبيات ولم تبق الأسلوبية أسلوبية واحدة، بل ظهرت أسلوبيات مختلفة مثل: أسلوبية بالي وأسلوبية شبتزر وأسلوبية ريفاتير وأسلوبية جيرو وأسلوبية ستانلي فيش وغيرهم من النقاد الذين اشتغلوا على الأسلوبية"[37].

وخُيل لي أن السبب في تعدد الأسلوب، أنّ لكل شخص أسلوب يتميز عن أسلوب غيره، وإذا تعددت الأشخاص فتعددت الأساليب والطرق.

تعريفات الأسلوب

كما ذكرت تعددت التعريفات للأسلوب وسأذكر بعضا منها. يقول د. محمد مندور عن الأسلوبية: "بأنه الخروج عن قواعد اللغة وعلى المألوف من التعبير والتركيب، ومخالفة المقاييس المتعارف عليها التماسا لجمال الأداء وروعته"[38].

وأعجبني ما قاله رولان بارت في تعريف الأسلوب: "والأسلوب ـ هو ما بعده تقريبا ـ فالصورة والإلقاء والمعجم تولد من جسم الكاتب وماضيه لتغدو شيئا فشيئا آليات فنه ذاتها "[39].

والتعريف الآخر ذكره د. فتح الله: " الأسلوب ينبع من زاوية النص، فيعتمد على فكرة الثنائية اللغوية التي تقسم النظام اللغوي إلى مستويين: مستوى اللغة، ويقصد به بنية اللغة الأساسية، ومستوى الكلام، ويعنى اللغة في حالة التعامل الفعلى بها"[40].

ومن الممكن أن نقسّم المستوى الثاني المذكور في تعريف د. فتح الله سليمان إلى قسمين آخرين، أولهما: الاستخدام العادى للغة، وثانيهما: الاستخدام الأدبي لها. وفي الحقيقة أن المستوى الثاني هو مجال البحث الأسلوبي باعتبار أن الفرق بين الاستخدام العلمى للغة والاستخدام الأدبي لها. وعندما نتحدث عن العدول عن النسق

فهو حسب المستوى الثاني الذي يعرف عند الأسلوبيين انحرافا أو خروجا على ما هو مألوف في الاستعمال اللغوي مما يسمى كذلك عند الأسلوبيين بالخاصية الأسلوبية.

ويقول موريس في تعريف الأسلوب: "هو ابتعاد عن الكلام المألوف والمستعمل، فقولنا: (سال ماء الوادي) قول مألوف، أما قولنا: (سال الوادي) فابتعاد عن المألوف وخروج عن المستعمل، وبالتالي نحن تجاه ظاهرة أسلوبية تعرف بالابتعاد"[41].

ويقول رومان جاكبسون[42] في تعريف الأسلوبية: "بأنها بحث عما يتميّز به الكلام الفني عن بقيّة مستويات الخطاب أولا وعن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانيا"[43].

أما تعريف الأسلوبية عند مائيكل ريفاتر[44](Michael Riffaterre) فإنه يقول: "بأنها علم يهدف إلى الكشف عن العناصر المميّزة التي بها يستطيع المؤلف الباحث مراقَبَة حريّة الإدراك لدى القارىء المتقبِّل والتي بها يستطيع أيضا أن يفرض على المتقبِّل وِجهةَ نظره في الفهم والإدراك فينتهي إلى اعتبار الأسلوبية (لسانيات) تُعنىَ بظاهرة حمل الذهن على فهم معين وإدراك مخصوص"[45].

عرف ماروزو[46](Julse Marouzeau) منذ سنة 1931 الأسلوب بأنه: "اختيار الكاتب كما من شأنه أن نخرج بالعبارة عن حيادها وينقلها من درجتها الصفر إلى خطاب يتميز بنفسه"[47].

اتجاهات الأسلوبية

قسم المفكر الألماني بيير جيرو الأسلوبية المعاصرة إلى اتجاهين مهمين متعارضين وهما: الأسلوبية التقليدية، والأسلوبية الجديدة. الاتجاه الأول رائده بالي، ورائد اتجاه الثاني هو جاكبسون.

1: نظرية شارل بالي[48](Charles Bally) في الأسلوبية

يعد شارل بالي مؤسس علم الأسلوب معتمدا في ذلك على دراسات أستاذه فرديناند دوسوسير على العناصر الوجدانية للغة، وهو تركيز تلقفه عالم الأسلوب الألماني (Seidler) الذي نفى أن يكون الجانب العقلاني في اللغة يحمل بين ثناياه أي: بعد أسلوبي. بالى ركز على الجانب التأثيري والعاطفي في اللغة وجعل ذلك يشكل جوهر الأسلوب ومحتواه[49].

والتفت بالي إلى الجانب الوجداني وتأصيله لفهم الأسلوب، وقد ألف مجموعة من الكتب. ومن خلال المناقشات التي أدارها بالي في دراساته فإنه تبنى فكرةً أساسية ومحورية لها أهميتها في الدراسات الأسلوبية حيث يقول :"تدرس الأسلوبية وقائع التعبير اللغوي من ناحيية مضامينها الوجدانية، أي أنها تدرس تعبير الوقائع للحساسية المعبر عنها لغويا كما تدرس فعل الوقائع اللغوية على الحساسية"[50].

ويبدو من بحوث بالي أنها منحصرة على دراسات اللغوية ولم تتجاوز إلى مجال الأدب. ولذلك يقول د. موسى ربابعة عن هذه القضية: "إن هذه الالتفات من بالي لم تتجاوز حدود اللغة العامة، والشائعة ولم ينقلها إلى ميدان دراسة الأسلوب، وبذلك ظلت أسلوبية بالي هي أسلوبية اللغة وليس أسلوبية الأدب. وبذلك يكون بالي قد جعل الجانب التأثيري ليس في اللغة من حيث هي استعمال، وإنما من حيث هي ظاهرة قائمة في اللغة بشكلها العام"[51].

ويبين بالي الكيفية التي يتم بها تحديد الجانب العاطفي في اللغة، ويذكر طريقتين مختلفتين لتمييز الخصائص المعبرة للغة ما، حيث يقول: "فإما أن نقارن وسائل التعبير فيها بوسائل التعبير في لغة أخرى، وأما أن نقارن الأنماط التعبيرية الأساسية في اللغة نفسها"[52].

حسب آراء علماء الأسلوبية أن أسلوبية بالى قد ابتعدت عن النص الأدبي، ولم تدرسه بمعايير النقد الأسلوبي، وسميت أسلوبية بالي بأسلوبية التعبير ظلت تعبيرية بحتة، ولا تعني إلا الإيصال المألوف والعفوي، وتستبعد كل اهتمام جمالي أو أدبي.

وقد حاول ليوشبتزر(d.c.freeman) محاولات مفيدة لاتصال بين الأسلوب اللغوي والنصوص الأدبية. وبخاصة يقيم جسرا بين دراسة اللغة ودراسة الأدب وأسس الأسلوب المثالية.

المتركزات المهمة التي بنى عليها ليوشبتزر أسس أسلوبيته أذكر منها ما تتعلق بموضوعي هي:

- إن عملية الدخول إلى الأثر الأدبي تكون من خلال الحدس القائم على الموهبة والدربة والتجربة.
- إن السمة الأسلوبية المميزة تكون عبارة عن تفريغ أسلوبي فردي أو هي طريقة خاصة في الكلام تنزاح عن الكلام العادي.
- إن كل انزياح عن القاعدة ضمن النظام اللغوي يعكس انزياحا في بعض الميادين الأخرى.

وأرى هذه النقاط المهمة التي ركّز عليها ليوشبتزر تبرز صلة وعلاقة بين النصوص الأدبية والأسلوب اللغوي.

2: نظرية جاكبسون في الأسلوبية

استمرت الدراسات الأسلوبية ضمن هذه المعطيات التي أغرسها بالي وشبتزر حتى جاء جاكبسون وقدم طروحات جديدة تبرز من خلال تعريفه للأسلوبية إذ يقول: "إنها البحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أولا، وعن سائر الفنون الإنسانية ثانيا"[53].

وأطرح جاكبسون طروحات في معالجة قضية اللغة والايصال مهمة جدا في تطور الدراسات التي تجسر الربط بين علم اللغة والنصوص الأدبية. وهو ركز في دراسته للغة على قضية الإيصال، وقسم الكلام على ثلاثة أطوار:

أول: مرسل. وثاني: رسالة (سياق، قناة، سنن). وثالث: مرسل إليه.

ويهتم جاكبسون بالوظيفة الشعرية توجد في المرسلة الشعرية التي هي ككل المرسلات واقع السني، إلا أن اللغة التي تحمل كلماتها تتوقف عن التصريح والإفصاح عن مغزاها، هذا التوقف يفقد متلقي المرسلة قدرته على الكشف عن مضمونها فيلعب دور المعاين الذي يحاول أن يستخلص من المرسلة ذاتها السنن المستعملة. وبهذا تختلف الوظيفة الشعرية عن الوظائف الأخرى التي تحدث عنها جاكبسون[54].

وبهذا التعمق في الدراسة الشعرية الأسلوبية استطاع جاكبسون أن يميز ما هو شعري عما هو غير شعري.

3: ميشال ريفاتير

حظ ميشال ريفاتير في بناء الأسلوبية كبير، وبدأت الأسلوبية البنيوية مسارا مهما في تناول الأسلوب في النص الأدبي، وهو تناول هذا الموضوع في كتاب خاص لهذا الغرض وسماه (محاولات في الأسلوبية البنيوية) صدر سنة 1971م. وقد تمثلت غاية هذا الكتاب في أن الأسلوبية البنيوية تقوم على تحليل الخطاب الأدبي.

ومن أخطر القضايا التي طرحها ريفاتير يكمن في ذلك التركيز على الوحدات الأسلوبية في النص، لتمييز الوحدات اللغوية التي لا تقع ضمن المعطيات الأسلوبية، ولأن النص يحتوي على بعض الظواهر التي يمكن أن يحتوي على سمات أسلوبية، وبذلك تصبح الأسلوبية قائمة على الانتفاء أو الاختيار في المعالجة، أي معالجة الظواهر الأسلوبية دون الالتفات إلى العناصر الأخرى.

ومن مظاهر الجمال في تعريف الأسلوب عند ريفاتير أنه يهمه القاريء أو المخاطَب، ويفوقه على الرسالة أعني النص، أو المتكلم، لأن يجري الكلام ما يناسبه المتلقي، لا المتكلم. ولذلك هو يقول: " هو ذلك الإبراز الذي يفرض على انتباه القارىء بعض عناصر السلسلة التعبيرة. مع الإلحاح على أن إهمال القارىء لهذه العناصر يؤدي إلى تشوية النص"[55].

ومن خلال هذا الطرح يتجسد الاختلاف بين رؤية جاكبسون الذي يحول التحليل الأسلوبي إلى تحليل لساني، أما ريفاتير فإنه يركز على فكرة التواصل التي تحمل طابع شخصية المتكلم في سعيه إلى لفت نظر المخاطب. ولهذا اعتنى عنايةً كبيرةً بالمنشىء الذي يشفر تجربته الذاتية. وبالمخاطب الذي يفك شيفرة مثل هذا التعبير، وهو بذلك يؤكد على تجاوز ما جاء من جاكبسون الذي كانت نظريته لا تنظر إلى الرسالة الشعرية

بوصفها تكييفا لمتطلبات التواصل، وبدلا من ذلك ينظر إلى إسقاط مبدأ التماثل على الرسالة بكيفية ما، بوصفه يحررها من المقام ويجعلها غامضة وغير تداولية.

ومن امتيازات في نظرية ريفاتير تلك الظاهرة التي تنحو في التحليل منحى نفسيا وسلوكيا، وهذا الأساس الذي اعتمده ريفاتير في التحليل الأسلوبي قاده إلى التركيز على المتقبل أو القارئ، وسماه بالقارئ العمدة[56].

عمد ريفاتير إلى تجنب رد المعيار الذي يحدث عنه الانحراف إلى شيء واقع خارج النص، وإنما جعله في النص نفسه، ولذلك قال: "تنتج القوة الأسلوبية من إدخال عنصر لا يتنبأ به"[57]. ولذلك يكون السياق هو الذي يتحدد به المعيار. ومثل عن هذه النظرية بقول: "هذا الصفاء المعتم الساقط من النجوم". حيث إنه جمع بين متقابلين وهما: المعتم والصفاء، وبهذا تحدث منبها أسلوبيا يتطلب استجابة من القارىء، إذ إن الكلمتين تنتميان إلى حقلين مختلفين، وهذا ما يسميه بالسياق الأصغر الذي يقوم على تشكيل المفاجأة التي أعطاها أهمية كبيرة، تلك المفاجأة التي ترتبط بما هو غير متوقع، وغير المتوقع يغدو منبها أسلوبيا لا بد له أن يحدث استجابة ما لدى المتقبل. فكل واقعة أسلوبية تنشأ من سياق ومن تعارض[58]. وسمى ريفاتير هذا السياق بالسياق الصغير، ولكنه أشار إلى نمط آخر في السياق سماه بالسياق الكبير، وهو سياق عرف على أنه جزء من الخطاب الأدبي، الذي يسبق الأجراء الأسلوبي ويوجد خارجه وقد قسمه إلى قسمين:

الأسلوبية في مجال اللغة والنقد الأدبي

انتبه الباحثون إلى الأسلوب في أول وهلة خاصة لغوية، وبنيت على هذه النظرة جهة تقدم الشواهد عليها، ومع مرور الزمن انتبهوا إلى الآثار الأسلوبية في النقد والبلاغة واستمرت هذه المعركة بين جهتين، وربما جان كوهن هو أول من خصّ هذا المصطلح بحديث مستفيض في مجال حديثه عن لغة الشعر، كإحدى المحاولات الجادة في حقل الدراسات البلاغية والشعرية.

وقد نظر علماء الأسلوب إلى اللغة في مستويين: الأول مستواها المثالي في الأداء العادي، والثاني مستواها الإبداعي الذي يعتمد على اختراق هذه المثالية وانتهاكها[59]. والمستوى الإبداعي في اللغة غير محدد بمعايير ثابتة أو خصائص مميزة وإنما هو تابع لقدرة القارئ على اكتشاف ما تحمله اللغة من إمكانات دلالية واسعة ناتجة عن قدرة المبدع على التركيب والاختيار، أو قدرة المبدع على إنشاء كلام أدبي.

وحقيقة إن الحديث عن الأسلوب كإطار نظري أمر واسع جدّا ولا يمكن تحديده لاختلاف وجهات النظر فيه.

وأرى أنّ تعريف عبد السلام المسدي امتزاجا جميلا بين الأسلوب اللغوي الأدبي البلاغي، حيث يقول في كتابه الأسلوب والأسلوبية: "فإن الأسلوبية تتحدد بدراسة الخصائص اللغوية التي بها يتحول الخطاب عن سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية والجمالية"[60].

قسم فريمان (d.c.freeman) الاسلوبية في ثلاثة أنماط، النمط الأول: الأسلوب بوصفه انزياحا عن القاعدة، والثاني: الأسلوب بوصفه تكرار للأنماط اللسانية، والثالث: الأسلوب بوصفه استثمارا للإمكانات النحوية[61].

الأسلوب أمر اختياري

هذا الأمر شائع في الدراسات الأسلوبية أن الأسلوب (styles) اختياري، فالمنشىء يستطيع أن يختار من إمكانيات اللغة ما يستطيع، وما يرى أنه الأقدر على خدمة رؤيته وموقفه وما يمكن أن يكون قادرا على خلق استجابة معينة عند المتلقى.

صارت عملية الاختيار عملية واعية ومقصودة، لأن عملية الاختيار لا تعني فقط اختيار الكلمات أو المفردات من المعجم بقدر ما تتصل أيضا بعملية التركيب وتشكيل النسق والسياق. ولذلك فقد تم الالتفات إلى الفرق بين اختيار المفردات أو الالفاظ أو ما يعرف بالاختيار من المعجم وباختيار التركيب[62].

إن عناصر الاختيار ترتبط بعملية الإخبار التي يريد أن ينقلها المنشىء إلى المتلقي، ولكن الغاية من عملية الاختيار هي عملية جمالية، تسعى إلى تشكيل الإثارة والدهشة عند المتلقي.

فإذا كانت اللغة العادية لغة تلقائية في كثير من الأحيان لا يتوخى من اختيارها قصدية ما، فإن الاختيار الأسلوبي اختيار واع ومقصود، ولو تعمق النظر في المسودات التي يكتبها المبدعون لكان ذلك دليلا كافيا على القصدية والاختيارات الواعية التي لا يمكن أن تتم دون هدف أو وظيفة، وقد يوحي شطب بعض الكلمات وإبدالها بكلمات أخرى، أو إجراء تقديم أو تأخير أو لجوء إلى حذف أو تقديم بعض الأبيات أو تأخيرها أن وراء مثل هذا الاختيار وعيا وإدراكا مقصودين لا يمكن إغفالها أو تجاوزهما في الدراسة الأسلوبية[63].

حاول برند شبلنر تحديد الاختيارات على النحو التالي:

- اختيار الغرض من الحديث: وفيه يريد المتكلم ـ بناء على أسس محددة ـ الوصول إلى الغرض من الكلام أو الحديث مثل: الإبلاغ الدعوة، الإقناع، اكتساب معلومات معينة، ويمكن أن يكون الهدف في النصوص الأدبية أغراضا جمالية.

- اختيار الغرض من الحديث: وفيه يختار المتكلم الموضوعات غير اللغوية أو الأشياء التي يريد الحديث عنها، على ذلك تتحدد إمكانيات الاختيار التي لها قيمة معينة، فلو أراد مثلا الإخبار عن حصان فيمكنه حينئذ أن يختار بين حصان، جواد، فرس.... الخ. ولكن لا يمكنه اختيار بقرة أو حمار مثلا.
- اختيار الرمز اللغوي: يختار المتكلم إذا كان يعرف عدة لغات ـ لغة أو لهجة ما، وهذا الاختيار هام جدا في النصوص الأدبية، حيث تحدث إضافات بلغات أو لهجات أجنبية.
- الاختيار النحوي: ويختار المتكلم التراكيب النحوية التي تكون قواعد صياغتها إجبارية، مثلا: جملة استفهامية أو جملة خبرية.
- الاختيار الأسلوبي: ويعثر المتكلم على الاختيار الأسلوبي من بين الإمكانات الاختيارية المتساوية دلالية[64].

الانحرافات المقبولة في النظرية الأسلوبية

للانحراف أشكالٌ متعددة لا تتوقف عند حد شكل واحد أو نمط واحد. قد حاول ايس ماركوس (S Marcous)لتحديد الانحرافات إلى المقبولة وغير مقبولة، وذكر الانحرفات المقبولة في النظرية الأسلوبية إلى خمسة أنواع:ـ

النوع الأول: انحرافات يمكن أن تندرج ـ حسب درجة امتدادها في النص ـ في الانحرافات المحلية أو الشاملة. ويصيب الانحراف المحلي أو الموضعي جزءا محددا من السياق، ويمكن وصف الاستعارة بأنها: انحراف موضعي عن اللغة المعيارية. أما الانحراف العام أو الشامل فإنه يصيب النص كله، فتردد وحدة لغوية معينة بكثرة غير مألوفة، أو ترددها بندرة غير مألوفة في نص ما، إنما هو انحراف عام يمكن تحديده احصائيا.

والنوع الثاني: يمكن أن تتنوع الانحرافات حسب صلتها بنظام القواعد الموجودة في المعيار اللغوي إلى انحرافات سلبية وأخرى إيجابية، ولا ترى الانحرافات السلبية على أنها تقييد أو تضييق للمعيار، أما الانحرافات الإيجابية فإنها تقدم قواعد إضافية لتقييد المعيار وتحديده وتنشأ في الحالة الأولى تأثيرات شعرية بالاعتداء على القواعد النحوية، وفي الحالة الثانية بقيود في النص كقافية مثلا. كما نجد له الأمثلة في الشعر: حيث يردد الشاعر اسما في كل شعر.

والنوع الثالث: يمكن أن تصنف الانحرافات على ضوء صفة المعيار بالنص مجال التحليل، هكذا تتميز الانحرافات الداخلية من الخارجية فيوجد أي انحراف داخلي حينما تبرز وحدة لغوية عن المعيار الممتد في النص كله، أما الخارجي فإنه يحدث إذا انحراف أسلوب النص عن معيار اللغة المعينة. ويقسّم هذا النوع عدولا إلى قسمين: العدول الداخلي والعدول الخارجي.

والنوع الرابع: تصنف الانحرافات بناء على المستوى اللغوي الذي تحدث فيه، وبهذا يمكن تمييز الانحرافات التالية: الخطية أو الكتابية، الفنولوجية ـ الصرفية ـ النحوية ـ الدلالية.

والنوع الخامس: تتميز الانحرافات في النهاية بناء على وجود أسس أخرى مثل الوحدات اللغوية أو اندماجها بالمعنى الذي ورد عند جاكبسون. إن الانحرافات النحوية التركيبية التي تأتي في تتابع الرموز اللغوية تخل بنظم الاندماج، مثلا انحراف موقعية الكلمة عن المعيار. أما الانحرافات الأجناس الجدولية فإنها تخل بنظم الاختيار عند انتفاء الرموز اللغوية مثال ذلك، انحراف الأجناس النحوية: الصفة بدلا من المبتدأ ـ المفرد بدلا من الجمع[65].

ولا شك إن الانحرافات في نص من النصوص مبعث حيويته وعلامة على أدبيته وخروج اللغة عن مألوفها. والنتيجة التي وصلت إليها أن الأسلوب كلٌّ والإنحراف أو العدول جزء منه. والعلاقة بينهما كلية وجزئية. وبحثي يدور حول العدول وأقسامه، ولا علاقة له بالأسلوب الكامل. وأرى كثيرا من نصوص أدبية ذات قيمة غير أنها لا تحتوي على انحرافات كثيرة.

ما هو المعيار

عمد الدارسون إلى البحث عن المعيار الذي يحدث عنه الانحراف، ويمكن من خلاله وصف ظاهرة أسلوبية بأنها انحراف، وتبدو مثل هذه العملية سهلة ويسيرة، لكنها في الواقع قادت وتقود إلى بعض الإشكاليات، التي تتعلق بعملية الدراسة الأسلوبية وبتحليل الاجراءات الأسلوبية.

والمشكلة الأساسية التي تواجه الانحراف هي: تحديد طبيعة المعيار الذي يحدث عنه الانحراف، فالانحراف يفترض مَسَبَّقاً أن هناك معيار يتم تحديد الانحراف على أساسه، ويتجلى أن الباحثين راحوا يُفَتِّشُون عن العنصر الذي يتم الانحراف عنه فسموه "القاعدة" والمعيار، واللغة العادية، والأسلوب المستعمل، واللغة النثرية.

ويرى ريفاتير أن السياق هو المعيار، فبدلا من أن يبحث عن المعيار في أشياء خارجة عن السياق وجد أن السياق نفسه يمكن أن يكون هو المعيار[66].

ولم يتوقف الأمر في تحديد عنصر الانحراف عند هذا الحد بل ذهب بعضهم إلى تحديد المعيار وذلك من خلال التفريق بين اللغة الشعرية واللغة النثرية، وقد تجلى هذا الأمر بصورة جلية وواضحة عند جان كوهين الذي يقول: "إن النثر هو المستوى اللغوي السائد، فإننا يمكن أن تتخذ منه المستوى العادي ونجعل الشعر مجاوزة تقاس درجته إلى هذا المعيار"[67].

القيمة الأدبية للانحراف

إن القيمة الجمالية للانحراف قد جعله عنصرا أساسيا في عملية الإدراك الجمالي للأدب، وفي ضوء هذا فقد عمد هنريش بليت (Plett) إلى وصف الانحراف بالجمالي في النقاط الآتية:

النقطة الأولى: الانحراف الجمالي: اللانحوية، والمقصود بهذا هو الانحراف الخارق المعيار النحو المتعارف عليه.ويراد به خروج الكلام عن النمط المألوف العادي المستعمل حسب قواعد النحوية المقررة في كتب النحو. ولا ينتهك هذا النظام الجاري إلا لأغراض بلاغية عالية يدركها أهل العلم والبصيرة. والنقطة الثانية التي أشار إليه بليت، هي: الانحراف الجمالي: التناسب، والمقصود به الانحراف للقاعدة، فالتناسب يمكن أن يحدث من خلال التكرار والتماثلات والتطابقات، وتناسب أشكال صوتية وصرفية وتركيبية ودلالية وطباعية.

والثالثة: الانحراف الجمالي: الحدوث، وهذا يعنى قلة ورود الظواهر اللغوية من الناحية الاحصائية أي: إن لغة القصيدة ما هي إلى حدوث ذا طبيعة فردية يختلف عن اللغة العادية أو اليومية.

ويبدو لي يراد بهذه النقطة: تمييز بين اللغة الشعرية واللغة العادية.

والرابعة: الانحراف الجمالي: المعاودة أو التناوب، ويعني هذا كثرة ورود الظواهر اللغوية من الناحية الإحصائية بحيث تأتي عناصر لغوية في النص الأدبي ولا تأتي في اللغة اليومية[68].

المقارنة بين القدماء والمحدثين

إن الخلاف حول ماهية القاعدة المعدول عنها في بنية العدول، خلاف قديم تمتد جذوره إلى أعماق التراث البلاغي العربي، فقديما اشترط جمهور البلاغيين في مبحث (التفات) حضور الضمير الملتفت عنه في صورة الالتفات، في حين وسع السكاكي الدائرة فلم يشترط وجود الضمير الملتفت عنه، بل يكفي ـ في رأيه ـ أن يستعمل ضمير واحد على خلاف مقتضى الظاهر[69].

قد وظف البلاغيون مادة (عدل)، كما عرف عبد القاهر الجرجاني: "وغرضي بهذا أن أعلمك أن من عدل عن الطريق في الخفي، أفضى به الأمر إلى أن ينكر الجلي"[70] ويقول أيضا : "وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز"[71].

ويقول السكاكي: "والمتأخرون ما وقعوا في التطويلات وتدوينهم لما دونوا من الأسفار إلا لعدولهم في العكس عن حفظ الجهة، وأول حاملٍ حملهم ـ فيما أرى ـ على العدول عنه المتعارف العامي"[72].

ويميل د. حسن الطبل (وهو من المحدثين) إلى رأي الجمهور في هذه القضية فيقول: "والحق أن الرأي الذي تبناه جمهور البلاغيين في هذا الصدد هو أقرب إلى الصواب، ذلك أنه ليس ثمة تحول أو نقل في إيراد نوع

من أنواع الضمائر في مقام يقتضي سواه، أو لنقل ـ بعبارة أخرى ـ إن النقل الذي نلحظه في مثل هذا الإيراد إنما هو نقل تقديري عما تقتضيه مواضعات اللغة، وليس نقلا أسلوبيا متجسدا بطرفين في نسيج الكلام"[73].

وفي الدرس اللغوي الحديث نجد أصداء لهذا الخلاف في مقولتين أو نظريتين أسلوبيتين هما نظرية الاختيار عند جاكبسون، ونظرية السياق عند ريفاتير.

وفي ضوء نظرية العدول ندرك أن الصيغ البدائل تمثل القاعدة المعيارية أو الأصل المعدول عنه، ولأن هذه البدائل متعددة ومتنوعة فإن تعددها يقتضي تعدد القواعد المعيارية المعدول عنها. فلا يمكن والحال هذه أن تحدد القاعدة المعيارية الصحيحة التي تم العدول عنها.

ومن هذه الزاوية ندرك القيمة الأسلوبية لحضور القاعدة/ المعدول عنه في السياق اللغوي. إن هذا الحضور يوفر على الدارس مشقة تركيز الذهن على القاعدة الغائبة حيث تقع في الذهن، ويجنبه مغبة الوقوع في الأخطاء التقديرية لهذه القاعدة.

لذلك نجد أن ريفاتير يرفض مقولة القاعدة الخارجة عن النص، لعدم قابليتها للتحديد من جانب، ولعدم أهميتها في إبراز الأسلوب بدقة من جانب آخر[74]. وهو يرى إذا كان ذلك كذلك، فإن البديل الأمثل هو السياق، يقول: "فالسياق هو الذي يمثل خلفية محددة دائمة وهو الذي يقوم بدور القاعدة. وافتراض أن الأسلوب يتخلق بالانحراف الداخلي عن السياق الدائم افتراض خصب.... السياق الأسلوبي هو: نموذج لغوي ينكسر بعنصر غير متوقع"[75]. وفي ضوء نظرية السياق عند ريفاتير فإن النص نفسه يحمل في طياته النمط والتجوز في نفس الوقت[76].

وإذا كان جمهور البلاغيين العرب القدماء يشترطون حضور الضمير الملتفت عنه في بنية الالتفات، فإن نظرية العدول السياقي عند ريفاتير هي أقرب شيء إلى ظاهرة الالتفات في البلاغة العربية، ولذا تعد من نقاط الالتقاء بين الأسلوبية الحديثة وبين البلاغة العربية في تناولها لظاهرة العدول، وخاصة في مبحث الالتفات.

دراسة الأسلوبية تحاول مقاربة ظاهرة العدول في الصيغ على شرط جمهور البلاغيين العرب القدماء، وتحت مظلة نظرية السياق عند ريفاتير، متجاوزة مبدأ (الاختيار) عند جاكبسون الذي يفهم على أنه حالة غياب المعدول عنه عن النص اللغوي بوصفه عنصرا احتماليا حاضرا في الذهن يمكن أن يحل محل المعدول إليه، وإن كان لا يطابقه تماما في القيمة الدلالية والوظيفية التعبيرية.

عند القدماء نجد مصطلحا (السامع)، ويناظره في الدرس اللغوي الحديث مصطلح (المتلقي). والزمخشري يؤكد وظيفة أساسية من وظائف العدول هو وظيفة تجديد نشاط السامع وإزالة السام عنه، حيث

يقول الزمخشري: "إن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظ للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد".[77]

المصطلح: (العدول) أكثر دقةً عند العرب

يبدو إن للعدول أو الانحراف مصطلحات مختلفة عند الباحثين الغربيين باختلاف النقاد الذين تعاملوا معه، فقد عد بول فاليري (تجاوزا)، وبارت (فضيحة)، وتودروف (شذوذا)، وجان كوهين (انتهاكا)، وتيري (كسرا)، واراجون (جنونا).

بعد تصفح الكتب وصلت إلى نتيجة أن النقاد الغربيين قد أطلقوا على هذه الظاهرة الأسلوبية أسماء مختلفة توحي باللامألوف وتصف التجاوز والتخطي، فإن الباحثين العرب قد كشفوا عن تعدد المفاهيم التي تصف هذه الظاهرة، فقد سماه نفر غير قليل "الانحراف". وأكد كثير منهم أهمية هذا العنصر في قراءة النص الشعري مع أن بعضهم قد ربطه بالمجاز والاستعارة وتجاوز بعضهم ذلك وربطوا بالغموض والحذف والتقديم والتأخير والمجاز بصورة المتعددة.

والمشكلة التي تكثر في صعوبات قارىء، حيث ناقد واحد استعمل مصطلحات مختلفة في كتاب واحد، نحو يقول د. موسى ربابعة في تعريف الأسلوب: هو ابتعاد عن الكلام المألوف والمستعمل، فقولنا سال ماء الوادي" قول مألوف، أما قولنا: "سال الوادي" فابتعاد عن المألوف وخروج عن المستعمل، وبالتالي نحن تجاه ظاهرة أسلوبية تعرف بالابتعاد"[78].

ويقول في كتابه في مقام آخر: إن الأسلوب هو نشاز وانحراف عن الكلام المألوف والمستعمل، فقولنا "سال ماء الوادي" قول مستعمل، أما قولنا "سال الوادي" فانحراف عن المستعمل وخروج عن المألوف، وبالتالي نحن تجاه ظاهرة أسلوبية تعرف بالنشاز[79].

لقد جاءت في هذا الكلام ثلاثة أسماء لمسمى واحد وهي "الابتعاد"، و" النشاز" و" الانحراف"، وهذا شاهد واضح على عدم استقرار المصطلح النقدي عند الناقد الواحد.

علاقة الأسلوبية بالبلاغة

لا شك إن للأسلوبية صلة عميقة بالبلاغة القديمة، حيث يرى شارل بالي أن الأسلوبية تنبُعُ من البلاغة القديمة، وإن كانت تستخدم وسائل تحليلية حديثة.

ونجد شواهد كافية تدل على تثبت العلاقة بين البلاغة والأسلوبية، ويذهب مع هذا التيار غريماس وكورتيس اللذان يقولان: "ليست الأسلوبية إلا حقلا من الأبحاث ينضوي تحت التقليد البلاغي، ولكونها

استندت تارة إلى اللسانيات، وطورا إلى الدراسات الأدبية، فإن الأسلوبية لم تنجح في أن تنظّم نفسها داخل علم مستقل"[80].

ومن الشواهد التي تدل على علاقة بين البلاغة والأسلوبية ما ذكره عبد السلام المسدي، وهو يقول: "تحديد الأسلوبية بمقارنتها بالبلاغة، وقِوام مُصادرتنا التي ننطلق منها هو أن للأسلوبية واللسانيات أنْ تتواجدا، أما الأسلوبية والبلاغةُ كمُتصوّرينِ فكريين فتمثّلان شحنتينِ متنافرتين متصادمتين لا يستقيم لهما تواجدٌ آنيّ في تفكير أصولي مُوحدٍ"[81].

ثم يظهر أن الأسلوبية وليدة البلاغة ووريثُها المباشر، ويرى صارت الأسلوبية بديلا عن البلاغة، ويقول بعد ذلك: "والمفهوم الأصولي للبديل أن يتولد عن واقع مُعطى وريثٌ ينفى بموجب حُضُوره ما كان قد تولّد عنه، فالأسلوبية امتدادٌ للبلاغة نفيٌ لها في نفس الوقت، هي لها بمثابة حبل التواصل وخطّ القطيعةِ في نفس الوقت أيضا"[82].

من خلال التحقيق وصلت إلى نتيجة أنّ الدراسات الجديدة التي اهتمت بالانزياح أو العدول باعتباره ظاهرة أسلوبية تعد من أكبر الدراسات وأوسعها انتشارا، ويعتبر ريفاتير وجان كوهن من أبرز الأسماء التي تناولت الانزياح كنظرية جديدة في بناء النظام اللغوي.

اصطلاحات ومرادفات للأسلوب والانحراف

يبدو أن تعريف الأسلوب بأنه انحراف من أكثر تعريفات الأسلوبية شهرة وانتشارا. ويرتبط الانحراف بالاختيار ارتباطا وثيقا، لأن الاختيار يقوم على إمكانيات متعددة تفتح المجال لحدوث الانحراف، وتحققه وتجليه إذ إن الاختيار يمكن أن يبرر بالمقارنة مع حالة الحياد أو الأسلوب المحايد أو ما يعرف بالدرجة الصفر وبذلك فإن الاختيار ينفتح على الانحراف بشكل وثيق إن انتشار مفهوم الأسلوب على أنه انحراف يتجسد بشكل كبير في معالجة النقاد المختلفة له، فقد وقف بعض النقاد من هذا التعريف موقف متفاوتة، وقيمة بعضهم تقييما إيجابيا في حين قومه الآخرون تقييما سلبيا، فقد شاعت عبارة فاليري التي قال فيها إن الأسلوب هو في جوهره انحراف عن قاعدة ما وشاركه في هذا الرأي كثير من النقاد ودعوا إلى ضرورة أن يعتاد الباحث على القاعدة أولا حتى يتمكن من اكتشاف الانحرافات المتفرعة عنها.

وإذا كان مصلح الانحراف مصطلحا إشكاليا في النظرية النقدية الغربية، إذ وجد له أكثر من مرادف من مثل: الانزياح والتجاوز والاختلال والإطاحة والمخالفة والشناعة والانتهاك وخرق السنن واللحن والعصيان والتحريف. فإنه في النقد العربي القديم والحديث قد وجد أيضا مرادفات أخرى تصف هذا الإجراء، من مثل الاتساع والعدول والمخالفة والغرابة، وغيرها من المصطلحات الأخرى[83].

الانحرافات المقبولة عند ايس ماركوس ورأي د موسى سامح ربابعة

إن هذه الأشكال التي قدمها ماركوس والأشكالات الأخرى للانحراف، لم تكن عناصر يمكن قبولها دون اعتراض إذ إن مفهوم الانحراف بحد ذاته تم الاعتراض عليه. لأن الانحراف يمكن أن يكون مفهوما فضفاضا بحيث يمكن القول إن اللغة الشعرية هي الانحراف عن اللغة العادية أو عن لغة النثر، ولكن لغة النثر في بعض الأحيان تكون مختلفة بأمشاج شعرية، وبخاصة في ضوء تداخل الأجناس الأدبية، فقد انتقل السرد إلى الشعر مثلا كما أن بعض عناصر الشعرية تتجسد في الرواية والقصة وغيرها من الأجناس الأدبية[84].

ثم يقول الدكتور: "إن مفهوم الانحراف يمكن أن يكون ضيقا مقتصرا على المجازات وبعض الإجراءات الأسلوبية المتعلقة بالبلاغة، من مثل الاستعارة والتقديم والتأخير والحذف وغيرها، ولكن هل كل النصوص الأدبية استعارات أو تقديما أو تأخيرا أو حذفا، إن هذه الاجراءات أو الظواهر الأسلوبية تأتي بصورة أو بأخرى في النصوص الأدبية، لكن ليس النص الأدبي كله استعارة أو تقديما وتأخيرا أو حذفا وغير ذلك من الإجراءات الأسلوبية، لذلك فإن مواجهة الانحرافات في نص من نصوص يعني التركيز على عناصر دون العناصر الأخرى"[85].

موافقة بين القدماء والمحدثين في تحقيق المعيار

بحث الدارسون المحدثون عن المعيار الذي يحدث عنه الانحراف، ويمكن من خلاله وصف ظاهرة أسلوبية بأنها انحراف، وتبدو مثل هذه العملية سهلة ويسيرة، لكنها في الوقع قادت وتقود إلى بعض الإشكاليات، التي تتعلق بعملية الدراسة الأسلوبية وبتحليل الإجراءات الأسلوبية.

ومن المشاكل التي تواجها الانحراف منها تحديد طبيعة المعيار الذي يحدث عنه الانحراف، فالانحراف يفترض مسبقا أن هناك معيار يتم تحديد الانحراف على أساسه، ويتجلى أن الباحثين راحوا يفتشون عن العنصر الذي يتم الانحراف عنه فسموه "القاعدة" والمعيار، واللغة العادية، والأسلوب المستعمل، واللغة النثرية.

ويظهر أن البحث عن المعيار الذي يتحدد من الانحراف قضية قد شغلت بال النقاد والبلاغيين العرب القدماء، فقد ظهر عندهم أسماء تقترب مما أطلق عليه الباحثون المحدثون "المعيار" الذي تنحرف عنه اللغة الشعرية، فاللغة المحوّرة التي ترتبط ببعد جمالي يشحن المتلقي بطاقة انفعالية كانت وراء البحث عن العادي والمألوف الذي يتمثل بالمعيار، ولذلك ظل البحث النقدي والبلاغي والعربي القديم منشغلا بالبحث عن معيار يمثل الحالة الطارئة الناتجة عن الاستخدام غير العادي للغة[86].

ظهرت في الموروث البلاغي والنقدي أسماء تشير إلى المعيار، ومن الأمثلة على ذلك حد الاستعمال والعادة، يقول الجرجاني: "وقد كان بعض أصحابنا يجاريني أبياتا أبعد أبو الطيب فيها الاستعارة وخرج عن حد الاستعمال والعادة"[87]. فحد الاستعمال والعادة معادلة لما عرف في البحث الأسلوبي المعاصر (المعيار) الذي تخرج عنه اللغة الشعرية في مخالفتها لما هو عادي ومستعمل.

جعل القدماء المعيار وجود الأصل ويقاس إليه كل خروج في اللغة، ولذلك فقد أشاروا إلى كثير من الأشياء التي تحدد المعيار الذي يتحدد به كل خروج من الخروجات، فقد تواترت عندهم مقولة أصل اللغة.

موافقة القدماء والمحدثين على أهمّية السياق

ومن مظاهر الاتفاق بين القدماء والمحدثين منها: (السياق).

ويبدو دور السياق فاعلا في تحديد فصاحة الكلمات وبلاغتها التي لا تكون في الألفاظ المجردة أو المفردة بل تكون في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، فالسياق هو الذي يحدد فصاحة الألفاظ ومناسبتها لمعانيها، ويقول عبد القاهر الجرجاني عن السياق:" إنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر"[88].

ويحدد التركيب السياقات المختلفة للألفاظ والجمل. ويبرز السياق بدوره تعاقب الكلمات واحدة بعد أخرى، وتكوين العلاقات بين الكلمات المختلفة. فلا تفاضلَ للكلمات والجمل من غير النظر إلى السياق الذي وردت فيه، وقد مثّل عبد القاهر ذلك بقوله: "فلو أنّك عمدت إلى بيت شعر أو فصل نثر فعددت كلماته عدّا كيف جاء واتفق وأبطلت نضدَه ونظامه الذي عليه بني وفيه أُفرِغ المعنى وأجريَ، وغيرتَ ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد ما أفاد، وبنسقه المخصوص أبان المراد، نحو أن تقول في:

(قِفا نَبكِ من ذِكرى حبيبٍ ومنزِلِ)

منزلِ قفا ذكرى من نبكِ حبيبٍ، أخرجته من كمال البيان إلى مجال الهذيان، نعم وأسقطت نسبته من صاحبه"[89].

ورأى عبد القاهر إن السياق يكشف لنا عما في التركيب من نسيج متشعب من الصور. ويفسر قيمته في التركيب بما يكون بين الكلم من علاقات، وهو لب السياق الكلامي.

يقول محمد زكي العشماوي في هذه القضية: "إن نظرة عبد القاهر الجرجاني للسياق نظرة مبكرة وسابقة لما وصلت إليه الدراسات الغربية الحديثة من نظريات ومقولات، ونجد الناقد الإنجليزي ريتشارد (Richards) يتحدث عن السياق ولا يضيف شيئا عما ذكره عبد القاهر حيث يذكر في هذا الشأن: "ومعنى أي لفظة لا يمكن أن تتحدد إلا من علاقة هذه اللفظة بما يجاورها من ألفاظ"[90]

النتائج

- إن الخلاف حول ماهية القاعدة المعدول عنها في بنية العدول، خلاف قديم تمتد جذوره إلى أعماق التراث البلاغي العربي.
- ويرى معظم الباحثين أن الأسلوب قائم على جذور البلاغة، وهو الأصل له في البنيان. ثم أضاف المحدثون أرواحا جديدة في الفن وأوصلوه إلى المرتبة العالي.
- توجد بعض الموافقات والخلافات بين علم البلاغة وعلم الأسلوب.
- ومن النتائج التي وصلت إليها أن الأسلوب كلٌّ والإنحراف أو العدول جزء منه. والعلاقة بينهما كلية وجزئية.
- من خلال التحقيق وصلت إلى نتيجة أنّ الدراسات الجديدة التي اهتمت بالانزياح أو العدول باعتباره ظاهرة أسلوبية تعد من أكبر الدراسات وأوسعها انتشارا، ويعتبر ريفاتير وجان كوهن من أبرز الأسماء التي تناولت الانزياح كنظرية جديدة في بناء النظام اللغوي.
- ومن نتائجها، إن الأسلوبية وصفية والبلاغة معيارية، لأن المعيار مأخوذ من لغة فصحى، أما الأسلوب فهو يعامل بلغة فصحى.
- تتلخّص في أنّ منحى البلاغة مُتعالٍ، بينما تميل الأسلوبية اتجاها اختباريا، معنى ذلك أن المتحرك للتفكير البلاغي قديما يتسّم بتصور ما هي الأشياء ووجودَها، بينما يتسم التفكير الأسلوبي بالتصور الوجوديّ الذي بمقتضاه لا تتحدّد للأشياء ماهيّاتها إلا خلال وجودها،
- وصل العلماء إلى نتيجة أن القدماء عندهم مظاهر التطبيق أكثر شيوعا من المحدثين، أما المحدثون لهم السبق في النظريات من القدماء.

المصادروالمراجع

1- جمهرة اللغة/ المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد المتوفى 321هـ/ المحقق: رمزي منير بعلبكي/ الناشر: دار العلم للملايين ـ بيروت/ الطبعة الأولى:1987م/ عدد الأجزاء: 3/ الجزء الأول/ الباب: د ع ل/ صـ: 355.

2- لسان العرب/ أبو الفضل،محمد بن مكرم، جمال الدين ابن منظور الإفريقي: المتوفى: 711هـ/ الناشر: دار صادر ـ بيروت/الطبعة الثالثة: 1414هـ/ عدد الأجزاء:15/ الباب: عدل/ الجزء الحادي عشر/ صـ: 430.

3- تاج العروس من جواهر القاموس/ المؤلف: محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، الملقب

بمرتضى/ تحقيق مجموعة من المحققين/ الناشر: دار الهداية/ عدد الأجزاء: أربعين. / الباب: ع د ل/ الجزء التاسع والعشرين/ ص: 445.

4 - البرهان في وجوه البيان/ تأليف: لأبي الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب/ تقديم وحقيق: د. حفني محمد شرف/ طبع الكتاب: 1400هـ - 1980م. بيروت - لبنان. / ص: 122.

5 - الخصائص/ المؤلف: أبو الفتح عثمان ابن الجني/ تحقيق: محمد على النجار/الناشر: دار الهدى للطباعة والنشر/ص: 974

6 - المصدر نفسه/ ص:145.

7 - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر/ المؤلف: ضياء الدين بن الأثير/ قدمه وعلق عليه: د أحمد الحُفي و د. بدوي طبانة/ الناشر: دار نهضة للطبع والنشر الفجالة مصر - القاهر. / المجلد الثاني/ ص: 180.

8 - غافر/ الآية 67.

9 - الحجرات/ الآية: 10.

10 - التحريم/ الآية: 4.

11 - مجاز القرآن/ المؤلف: أبو عبيدة معمر بن المثنى (المتوفى: 210هـ)/ تحقيق: الدكتور محمد فؤاد سزكين/ الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهر. المجلد الأول/ ص: 9 . 10.

12 - تأويل مشكل القرآن/ تأليف: الإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى: 276هـ/ تحقيق: إبراهيم شمس الدين. / ص: 20 . 21..

13 - بلوغ الأرب في علم الأدب/ مؤلف: المطران جرمانوس فرحات المتوفى سنه1145 هـ. 1732 م./ تحقيق: إنعام فوال/ دار المشرق ش م التوزيع/ المكتبة الشرقية - بيروت لبنان. ص: 39. 40.

14 - نقد الشعر/ تأليف: أبو الفَرَج قُدامة بن جعفر (260هـ - 337هـ)/ تحقيق وتعليق: الدكتور محمد عبد المُنعِم خَفاجي/ ناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان. / ص: 53.

15 - عيار الشعر/ المؤلف: محمد بن أحمد بن محمد - ابن طبا طبا العلوي المتوفى: 322هـ/ المحقق: عبد العزيز بن ناصر المانع/ الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة/ عدد الأجزاء: 1/ ص: 11.

16 - نفسه/ ص: 11.

17 - نفسه / ص: 11.

18 - دلائل الإعجاز/ المؤلف: عبد القاهر بن عبدالرحمن الجرجاني/ المحقق: محمود أحمد شاكر/ الناشر: مكتبة الخانجي - مطبعة المدني/ عدد الأجزاء: واحد. / ص:138. 139.

19 - سورة البقرة/ الآية: 31.

20 - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/ المؤلف: محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري/ الناشر: دار الكتب العربي - بيروت/ الطبعة الثالثة: 1407م/ عدد الأجزاء 4. المجلد الأول/ ص: 64.

21 - المثل السائر/ ضياء الدين ابن الأثير/ الجزء الثاني/ ص :168.

22 - ينظر: نفسه/ ص: 169

23 - مفتاح العلوم/ المؤلف: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي/ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت -

لبنان/الطبعة الثانية: 1407هـ/ صـ:140.

24 - ينظر: نفس المرجع/ صـ:139.

25 - سورة الإبراهيم / الآية: 38.

26 - تفسير أطفيش/ الجزء الرابع/ صـ:476.

27 - هو عز الدين أبي الحسن على بن أبي الكرم ابن الأثير (ت:630هـ) و في وفاته أقوال مختلفة وهي: (629هـ) (630هـ) (637هـ). وأشهر القول:(630هـ).

28 - سورة هود/ رقم الآية: 103.

29- المثل السائر: 168/2 . 186.

30- سورة آل عمران/ رقم الآية: 126.

31 - ينظر: الأسلوبية . مدخل نظري ودراسة تطبيقية/ د: فتح الله أحمد سليمان/ الناشر: مكتبة الآداب 42 ميدان الأوبرا القاهرة/ الطبعة الأولى / (م . م) صـ: 33.

32 - خصائص الأسلوب في الشوقيات/ ألفه: محمد الهادي طرابلسي/ دار النشر: المجلس الأعلى للثقافة 1996/ صـ: 350.

33 - السابق/ صـ: 34.

34 - هو (leo Spitzer) ولد في 1887م. وتوفي في 1960. يقول عنه عبد السلام المسدي: تماوى النشأة، المباني التكوين، فرنسى الاختصاص، وهو من علماء اللسانيات ونقاد الأدب من مؤلفاته: دراسات في الأسلوب، والأسلوبية

35- اسمه فى اللغة الفرنسية: (pierre Guiraud) ولد في 1912م في فرنسا، وتوفى 1983م.

36 - السابق/ صـ: 352

37 - الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها/ د. موسى ربابعة جامعة الكويت/ دار الكندي للنشر والتوزيع . الأردن أربد/ الطبعة الأولى: 2003./ صـ: 21.

38 - النقد المنهجي عند العرب/ د. محمد مندور/ دار النهضة للطباعة والنشر، مصر/ طبع: 1969/ صـ: 265.

39 - الكتابة في درجة الصفر/ المؤلف: رولان بارت/ المترجم: د. محمد نديم خشفة . ترجمه عن الفرنسية / الناشر: مركز الإنماءالحضاري/ الطبعة الأولى: 2002. صـ: 19.

40 - انظر: الأسلوبية . مدخل نظري ودراسة تطبيقية/ المؤلف: د: فتح الله أحمد أحمد سليمان/ الناشر: مكتبة الآداب

42- ميدان الأوبرا القاهرة/ الطبعة الأولى. / صـ: 09.

41 - الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها/ صـ: 44.

42 - Roman Jakobson ولد بموسكو سنة 1896 واهتم منذ سنه الأولى باللغة واللهجات، وفي سنة 1915 أسس بمعية ستة طلبة النادي اللساني بموسكو، وعنه تولدت مدرسة الشكليين الروس، وفي سنة 1920 انتقل جاكبسون إلى تشيكوسلوفاكيا فاعد الدكتوراه سنة 1930، بعد أن أسهم في تأسيس (النادي اللساني ببراغ) سنة 1920وفي سنة 1933 انتقل إلى مدينة برنو (Brno) فدرس بجامعة مازاريك (Mazaryk)، وفي سنة1939 انتقل إلى الدنمارك والنودفاج فدرس في كوبنهاق، وأسلو (Olso). وفي سنة 1941 رحل جاكبسون إلى الولايات المتحدة فدرس في نيويورك وتعرف بلايفي ستروس، ثم انتقل إلى جامعة هارفارد (Harvard) والمعهد التكنولوجي.

43 - الأسلوبية والأسلوب لعبد السلام المسدي/ ص: 37.

44- Michael Riffaterre هو أستاذ بجامعة كولومبيا (Columbia) أهم جامعات نيويورك بالولايات المتحدة، اختص بالدراسات الأسلوبية منذ مطلع العقد الخامس في القرن العشرين، وأبرز مؤلفاته (محاولات في الأسلوبية البنيوية).

45 - نفسه/ ص: 49.

46 - اسمه الكامل: (Julse Marouzeau). ولد في 1878م في ولورت فرنسا، وتوفى: 27 ستمبر 1964 في فرنسا. كتبه في اللغة الفرنسية ولذلك ما استطعت أن أذكر تعريفه في اللغة الأصلية.

47- نفسه/ ص:102.

48 - كتِب اسمه في الإنجليزية (Charles Bally)، ولد1865م. وتوفي في 1947. واسمه استاذه ف. دي سوسير (Fardinand de Saussure).من كتبه: في الأسلوبية الفرنسية، صدر عام 1925. والمجمل في الأسلوبية صدر عام 1905. واللغة والحياة، صدر عام 1913. واللسانيات العامة واللسانيات الفرنسية صدر عام 1932.

49 - الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها/ د. موسى ربابعة / ص: 09.

50 - نظرية المعنى في النقد الأدبي/ ص:85.

51 - الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها / ص: 10

52 - الكتابة في درجة الصفر لرولان بارت/ ص: 82.

53 - الأسلوبية والأسلوب/ ص:158. 159. .

54 - انظر: اتجاهات البحث الأسلوبي/ د. شكري محمد عياد/ دار العلوم الرياض/ص:34.

55 - معايير تحليل الأسلوب/ المؤلف: ميكائيل ريفاتير/ ترجمة تقديم وتعليقات: د. حميد لحمداني/ منتديات سور الأزبكية/منشورات دراسات . سال/ الطبعة الأولى: 1993/ دار النجاح الجديدة . البيضاء/ ص: 5.

56 - أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب ليبيا . تونس/ توفيق الزيدي/ طبع: 1984/ ص:86.

57 - إشارة اللغة ودلالة الكلام/ موريس أبو ناصر/ ص: 85 و 155.

58 - الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها/ ص: 18.

59 - الأسلوبية والبلاغية/ محمد عبد المطلب/ دار نوبار للطباعبة القاهرة/ ط:أول/ 1994م / ص :145.

60 - الأسلوبية والأسلوب/ ص: 34

61 - البنية الأسلوبية/ حسن ناظم/ دراسة في أنشودة المطر للسياب/ المركز الثقافي العربي/ الدار البيضاء/ المغرب/ الطبع الأول: 2002/ ص: 43.

62 - الأسوبية مفهيمها وتجلياتها/ ص: 28

63 - البلاغة والأسلوبية/ محمد عبد المطلب/ ص:198.

64 - الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي/ المؤلف: الولي محمد/ الناشر: المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان/سنة الطبع1990 / ص: 17.

65 - الأسلوبية مفاهيما وتجلياتها / ص: 35 . 36.

66 - الخصائص/ لابن جنى/ ص: 448. 449.

67 – الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها / صـ:52.

68 – أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث/ توفيق الزيدي/ صـ: 86.

69 – ينظر في: تحولات البنية/ صـ:298.

70 – أسرار البلاغة/ المؤلف: عبد القاهر الجرجاني/ تحقيق: عبد الحميد هنداوي/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان/ طبع: 2001/ جـ: 1/ صـ132.

71 – نفسه/ 147/1.

72 – مفتاح العلوم: 1/ 211.

73 – أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية/ المؤلف: الدكتور حسن طبل/ ملتزم الطبع والنشر: دار الفكر العربي/ مدينة نصر. القاهرة، 1418هـ . 1998م. / صـ: 26.

74 – انظر:علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته/ الدكتور صلاح فضل/ الطبعة الأولى: 1419هـ . 1998م/ الناشر: دار الشروق . القاهرة . مصر/ صـ: 236.

75 – نفسه/ صـ:224. 225.

76 – انظر: القراءة الأسلوبية بين الإنشائية والهيكلية/ صـ: 369.

77– الكشاف للزمخشري/ المجلد الأول/ صـ:14.

78 – الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها/ لموسى ربابعة/ صـ:44.

79 – نفسه/ صـ: 44.

80 – الأسلوبية في النقد العربي الحديث/ نور الدين السد/ رسالة دكتواره، جامعة الجزائر، الجزائر، 1994/ صـ: 19.

81 – الأسلوبية والأسلوب/الأسلوبية والأسلوب/ المؤلف: عبد السلام المسدي/ الناشر: الدار العربية للكتاب/ المطبعة التيونسية للطباعة وفنون الرسم/ الطبعة الثالثة/ صـ: 51 .

82 – نفسه/ صـ 52.

83 – الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها/ صـ: 34. 35.

84 – نفسه/ صـ: 36.

85 – الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها / صـ: 36 . 37.

86 – نفسه/ صـ: 52 . 53.

87 – نفسه/ صـ: 53.

88 – دلائل الإعجاز/ تحقيق: محمود محمد شاكر/ صـ: 46.

89 – أسرار البلاغة/ صـ: 14.

90 – قضايا النقد الأدبي/ محمد زكي العشماوي/ صـ: 320.